

وسائل الإعلام ودورها في تعزيز الهوية الوطنية للشباب الجزائري في ظل تحديات العولمة الثقافية

The media and its role in promoting the national identity of Algerian youth in the context of the challenges of globalization

سمير أبيض*

جامعة محمد الصديق بن يحي جيجل(الجزائر)، Samir.oubbiche@univ-jijel.dz

تاريخ الاستلام: 2021/05/03 ؛ تاريخ المراجعة: 2021/05/03 ؛ تاريخ القبول: 2021/05/22

ملخص الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى إبراز الدور المنوط بوسائل الإعلام كواحدة من أكثر مؤسسات التنشئة الاجتماعية تأثيراً في هذا العصر، في مواجهة التحديات التي باتت تعرفها المجتمعات الإنسانية في ظل العولمة والتي منها دون أدنى شك المجتمع الجزائري، وخاصة فئة الشباب منه، بوصفها الفئة الأكثر عرضة لعواصف العولمة والأشد تأثراً بوسائلها ورسائلها خاصة الثقافية منها. وإن أهم الجوانب الأساسية التي يقع على مؤسسات الإعلام العبء الأكبر في العمل عليها هو دون أدنى شك جوانب الهوية الوطنية وعناصرها وأبعادها، لأنها الضامن الوحيد لبقاء النوع الاجتماعي للمجتمع الجزائري إلى الحد الذي عدّها بعضهم بأنها نوع من الأمن القومي، أو أهم أنواع الأمن القومي.

الكلمات المفتاحية: وسائل الإعلام؛ العولمة الثقافية؛ الشباب الجزائري، المجتمع الجزائري، الهوية الوطنية.

Abstract:

The aim of this study is to highlight the role of the media as one of the most influential socialization institutions of the era, in addressing the challenges that human societies have become familiar with in the context of globalization and that undoubtedly include Algerian society, especially its youth, as the most vulnerable group to the storms of globalization and the most affected by its means and cultural messages.

The most fundamental aspect on which the media institutions bear the brunt of their work is undoubtedly the aspects of national identity, its elements and its dimensions, as it is the sole guarantee of the survival of Algerian society to the extent that some of them have identified it as a type of national security, or the most important type of national security.

Keywords: national identity; Algerian society; Algerian youth; cultural globalization; Media

1 - مقدمة:

لا يختلف اثنان في أن العالم اليوم يشهد تحديات كبيرة جداً، يجسدها التنامي المتسارع لمظاهر العولمة وتجلياتها، وما انعكس على إثرها من إعادة هيكلة منظومة العيش لمختلف المجتمعات البشرية، وذلك من خلال الاستثمار الواسع لتكنولوجيا الإعلام الحديثة في تهيئة كافة مجالات ونظم الحياة الاجتماعية والاقتصادية... إلخ، ولعل أكثر المجالات التي لحقها تأثير التغيير الحاصل هي المنظومة الثقافية التي تجسد مكونات وهوية المجتمع.

وإذا كنا بصدد الحديث عن هوية المجتمع وعن أكثر الفئات التي مستها تأثير مظاهر العولمة الثقافية في هويتها فهي دون أدنى شك فئة الشباب التي تجد اليوم نفسها في تماس مباشر مع إفرازات العولمة الثقافية طول الوقت، وهو ما يشكل تحدياً كبيراً أمام هذا الشباب الباحث عن إثبات هويته وشخصيته الثقافية من جهة والطامح إلى الاستفادة من منتجات العولمة وخاصة التكنولوجية منها من جهة أخرى.

إنّ هذا التحدي الذي يواجهه الشباب الجزائري في عناصر هويته الوطنية أمام مخاطر العولمة حتم على مؤسسات المجتمع وخاصة الثقافية منها القيام بالدور المنوط بها من أجل حماية هذا الشباب وتحصينه من الاستلاب والانسلاخ الثقافي الذي يهدده ويعزز استقراره، ولعله من بين المؤسسات التي أوكل لها هذا الدور هي وسائل الإعلام وذلك نظراً للخصائص التي تتميز بها وتؤهلها لذلك.

وهو ما جعل الدولة تسعى إلى العمل على تشجيع وتطوير المنظومات الإعلامية الوطنية العامة والخاصة منها، وذلك عبر إيجاد مختلف الآليات التي تساعد على توظيف تقنيات تكنولوجيا الإعلام الحديثة للتحكم في مساقات المعرفة والمكون الثقافي الوافد عن طريق العولمة، وفي نفس الوقت الحفاظ على مكونات الثقافة المحلية وخصوصياتها بما يحفظ الهوية الوطنية للشباب الجزائري، وهو ما يفرض على المنظومة الإعلامية الوطنية والخاصة ولاسيما التلفزيونية، السعي للتفاعل الإيجابي أكثر مع قضايا المجتمع المحلي كونه الفاعل الأساسي في صون قيم المواطنة الدينية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية لأفراد المجتمع، وذلك عن طريق مختلف الرسائل الإعلامية الموجهة للفرد والتي تعالج في محتواها الإعلامي قضايا المجتمع المحلي الأساسية وفق أطر معرفية واجتماعية عملية تستند أساسا على الخصوصية الثقافية للمجتمع العام، بما يساعد على إكساب المواطن قدرة نفسية واجتماعية وأخلاقية للتفاعل والتكيف مع الوافد من المنتجات الإعلامية والثقافية من مختلف دول العالم، بعيدا عن عمليات الاستلاب والاعتراب الاجتماعي. ولقد جاءت هذه الدراسة كمحاولة لإبراز الدور الذي يمكن أن تلعبه وسائل الإعلام في سبيل تحصين وحماية الهوية الوطنية للشباب الجزائري من مخالب العولمة الثقافية الذي تهدد كيانه؟

2. في مفهوم الهوية الوطنية وعناصرها الأساسية:

1.2- الهوية الوطنية:

يتفق الباحثون في علوم الإنسان والمجتمع أن الارتباط المفاهيمي لمصطلح الهوية الوطنية بالثقافة والمجتمع جعل تحديد معناه ودلالته أمرا بالغ الصعوبة، كون مصطلح الهوية مركب ثقافي اجتماعي غير ثابت وغالبا ما يتطور مع الحراك والحالة الدينامية الاجتماعية التي يعيشها للمجتمع ككل، وسنحاول في ما يلي الوقوف على أبرز التعريفات السوسولوجية التي تحصر مدلوله الاجتماعي.

يعرفها صامويل هنتينغتون S.Huntington " مثلا على أنها إحساس فرد أو جماعة بالذات، إنها نتيجة وعي بالذات، بأنني أو نحن نمتلك خصائص مميزة ككينونة تميزني عنك وتميزني عنهم، فالطفل الجديد قد يمتلك عناصر هوية ما عند ولادته بعلاقة مع اسمه وجنسه وأبوتيه وأمومته ومواطنيه، وكل هذه الأشياء في كل حال لا تصبح جزء من هويته حتى يعيها الطفل ويعرف نفسه بها" (حبيب صالح مهدي، د س، ص 3)، بينما يراها البعض أنها مفهوم أيديولوجي أكثر مما هو علمي خاص، وأن الهوية يمكن التعبير عنها أو تجسيدها من خلال سمات كثيرة ومختلفة، فقد يعبر عنها من خلال الدين أو اللغة أو الدولة الوطنية أو القومية، والإنسان عندما يولد بهوية لا يستطيع أن ينفك عنها وكأنها خصائص وراثية. (هدى كريم مطلق، 2016، ص 262)، ووفقا للمفكر الإنجليزي سميث D.Smith ينطوي هذا المفهوم على نواحي الشعور بالانتماء السياسي والاجتماعي والتاريخي والثقافي والاشترك بالقيم والمواطنة والتقاليد، التي تجمع مجموعة من الأفراد في منطقة جغرافية معينة، والهوية الوطنية هنا تستند لمجموعة من الأبعاد. (D. Smit, 2004, p125)، الإقليم التاريخي أو الوطني، الذاكرة التاريخية، الثقافة العامة المشتركة، الحقوق القانونية المشتركة والواجبات لجميع الأعضاء.

أما العربي ولد خليفة فيعبر عن الهوية " بأنها جسر يعبر من خلاله الفرد إلى بيئته الاجتماعية والثقافية، فهي إحساس بالانتماء والتعلق بمجموعة، وعليه فالقدرة على إثبات الهوية مرتبطة بالوضعية التي تحتلها الجماعة في المنظومة الاجتماعية ونسق العلاقات فيها". (محمد العربي ولد خليفة، 2003، ص92)

في حين يرى البعض أن الهوية مفهوم اجتماعي نفسي يشير إلى كيفية إدراك شعب ما لذاته وكيفية تمايزه عن الآخرين، وهي تستند إلى مسلمة ثقافية عامة مرتبطة تاريخيا بقيمة اجتماعية وسياسية واقتصادية للمجتمع، (محمد إبراهيم عيد، 2001، ص110)، وأن هوية أية أمة هي صفاتها التي تميزها من باقي الأمم لتعبر عن شخصيتها الحضارية، والهوية دائما جماع لثلاث عناصر العقيدة التي توفر رؤية للوجود واللسان الذي يجري التعبير به والتراث الثقافي الطويل المدى. (رحيم كاظم، 2009، ص259)

وعليه يمكن القول أن الهوية الوطنية تمثل الخصوصية التي تميز مجتمع عن غيره: كالعيش المشترك والعقيدة، اللغة، التاريخ والمصير المشترك ومن هنا فان الهوية الثقافية تحمل دلالتها من المحددات الثقافية الأساسية والإقليم الجغرافي، بحيث تتفاعل عناصر هذه الهوية ضمن هوية مركزية أو أرضية مرجعية تتحدد وفق مرجعين.

(ظاهر محسن هاني ونعيم حسين كزاز، 2006، ص 550)

- الثقافة: هي التي تمكن الفرد من التكيف والتوافق مع الجماعات الاجتماعية وتحقيق ذاته في إطار الجماعة والمؤسسات المجتمعية.

- الوطنية: تشمل كل السمات الثقافية للأمة، وتصبح بالتالي أحد الدلالات الأساسية المحددة لهوية شعب يعيش ضمن إقليم جغرافي محدد.

2.2- عناصر الهوية الوطنية الجزائرية:

يكاد يجمع باحثي علم الاجتماع على أنّ المقومات الأساسية التي تعبر عن الشخصيات والثقافات الوطنية والقومية للأمم والمجتمعات التي تمثل معيار الانتماء الاجتماعي لهذه الأمم لا تكاد تخرج على ثلاثة مقومات أو عناصر أساسية يجمعونها في ثلاثية اللغة و الدين والمجال الجغرافي، وهي المقومات التي تعبر بوضوح عن الوجود النوعي لأي مجتمع وتفردّه عن غيره من المجتمعات ويشكّل أفراد المجتمع من خلالها ماهيتهم الاجتماعية، إذ يؤكد " عابد الجابري " على أنه " لا تكتمل الهوية الثقافية ولا تبرز خصوصيتها ، ولا تغدو هوية ممتلئة قادرة علي نشدان العالمية إلا إذا تجسدت مرجعيتها في كيان تتطابق فيه ثلاثة عناصر: الوطن (الجغرافية والتاريخ)، الدولة (التجسيد القانوني لوحدة الوطن والأمة)، والأمة(النسب الروحي الذي تنسجه الثقافة المشتركة"، كما أشار " الجابري " في موضع آخر إلى أن " الهوية الثقافية هي حجر الزاوية في تكوين الأمم، لأنها نتيجة تراكم تاريخي طويل، فلا يمكن تحقيق الوحدة الثقافية بمجرد قرار حتى لو توفرت الإرادة السياسية، والأمة الجزائرية كغيرها من أمم هذا العالم الذي صاغت شخصيتها وثقافتها عبر سلسلة من الأحداث التاريخية والملحمية حتى وصلت إلى الشكل الذي أصبحت تعرف به دون غيرها من المجتمعات والأمم وأصبح أفرادها يعبرون عن وجودهم من خلال هذه العناصر الثقافية وذلك في مواثيقهم وعهودهم الرسمية التي اقتضتها التنظيمات المعاصرة للدول الحديثة.

ولقد بينت مختلف الأدبيات الوطنية بوضوح أن العناصر الأساسية التي تعبّر عن الثقافة الوطنية الجزائرية تتمثل في (الدين واللغة والوطن عناصر لشيء واحد هو الشخصية الوطنية، ومن ثمّ فالفصل بين عناصر الشخصية الوطنية هو نوع من الفصل المصطنع بين مكونات الشيء الواحد الذي إذا سقط منه عنصر ذهب حقيقته وتلاشت ماهيته، فالانتماء للجزائر لا يتمّ إلاّ بالانتماء إلى هذه العناصر كلها). (عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، 1988، ص 55)، وهي العناصر الأساسية التي بنت عليها جمعية العلماء مثلاً مشروعها التربوي الإصلاحية في الجزائر وأوضّحت أنّها تتحدد في عنصر الإسلام الذي لا يتصور انفصاله عن اللغة العربية ولا أنّ هذه الأخيرة مفصولة عن القرآن والإسلام، كما لا يتصور الجزائر باعتبارها وطناً إسلامياً عربياً مفصولاً عن هذين العنصرين، وعبّر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي عن عناصر الهوية الوطنية الجزائرية بقوله: أن (الأمة الجزائرية هي قطعة من المجموعة الإسلامية العظمى من جهة الدين وهي ثلّة من المجموعة العربية من حيث اللغة التي هي لسان ذلك الدين) ليضيف الشيخ في موضع آخر بأنّ (الجزائر وطن بربري قبل الإسلام يضم جماهير القبائل البربرية وأصولها الأولى، ووطن عربي إسلامي مند دخله الإسلام يصحب ترجمانه الأصل وهو اللسان العربي).

(حمد البشير الإبراهيمي، 1997، ص 378)

هذه هي عناصر الثقافة والهوية الوطنية الجزائرية التي مثلت معيار الانتماء الاجتماعي والتّفرد النوعي للمجتمع الجزائري كما صاغتها وحدّتها أدبيات الحركة الإصلاحية وناضلت من أجل تمكينها داخل الضمير الجمعي الجزائري، ضمن الإسلام الذي عاش الشعب الجزائري في ظلّه وفيه تمّ نموه وتحددت سماته الشخصية ومقوماته الذاتية. (محمد الصالح الصديق، 2002، ص 14)، إلى اللغة العربية التي تمثل قطعة من كياننا التاريخي وشرط أساسي لوجودنا القومي وشهادة قاطعة بصحّة نسبنا الدّيني ونسبنا الجنسي. (محمد البشير الإبراهيمي، ج 1، ص 286) وعنصر أساسي في هويتنا وشخصيتنا وطريقة تفكيرنا ومن هنا نشأ ذلك التلازم المنطقي والتاريخي بين العربية والوطنية... فاللغة تصاحب سلوكنا في كل لحظة وترافقنا في أطوارنا التاريخية المتلاحقة، ممّا يجعلها أداة صادقة للتعبير عن حياة المجتمع الجزائري. (عز الدين صحراوي، 2009، ص 94-95)

3.3- عناصر الهوية الجزائرية في الموثيق الرسمية والتاريخية للجزائر المعاصرة:

وهي تلك الموثيق والعهود والمراسيم التاريخية التي صاغها قادة هذا البلد أثناء الحقبة الاستعمارية وتعاقد المجتمع الجزائري من خلالها على ملامح الجزائر المعاصرة التي يصبون إلى إقامتها والجهاد في سبيل تحقيقها، والموثيق التي تمّ وضعها بعد الاستقلال من أجل استكمال وتحقيق مرحلة البناء الاجتماعي التي صاغتها الموثيق السابقة، ويأتي في مقدّمة هذه العقود الاجتماعية بيان أول نوفمبر الذي يمثل المرجعية الأساسية لكل الموثيق والعهود اللاحقة، فقد جاء فيه تحت عنوان الهدف: الاستقلال الوطني بواسطة إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية، وجاء تحت الأهداف الخارجية تحقيق وحدة شمال إفريقيا في إطارها الطبيعي العربي الإسلامي (بيان أول نوفمبر، 1954)، أمّا الميثاق الثاني فهي الدّيباجة التي وقعها قادة الحركة الوطنية على اختلاف انتماءاتهم وتوجّهاتهم والتي تعكس بصدق التحليلات الاجتماعية التي يعطيها الدكتور حلّيم بركات بأنّ الجزائر ضمن مجموعة من الدول العربية التي تتراوح فيه العلاقات بين التعايش والانصهار في بوتقة الأمة والمجتمع، إذ تميل فيها

الجماعات في الظروف العادية وحتى في الأزمات إلى التمسك بالهوية القومية وقد تغلبها على ولاءاتها الخاصة بالرغم من وجودها ضمن نموذج التعدد الفتوي. (حليم بركات، 2000، ص 26)، فقد جاء في هذه الديباجة تحت مسمى ميثاق جبهة تحرير الجزائر، (في الجزائر العربية المسلمة [...]) ووضحت النقطة الرابعة أنّ الجزائر عربية الجنس مسلمة العقيدة [...]. فهي بالإسلام والعروبة كانت وعلى الإسلام والعروبة تعيش) وكان ذلك في القاهرة في 24 جمادى الثاني 1370هـ الموافق لـ 17 فيفري 1955 وحملت القائمة توقيع أسماء كل من محمد البشير الإبراهيمي، أحمد مزغنة، أحمد بيوض، محمد خيضر، الشاذلي المكّي، الفضيل الورتلاني، حسين الأحول، أحمد بن بلة، حسين آيت أحمد ومحمد اليزيد، أمّا مؤتمر الصّومام المنعقد في 20 أوت 1955 والذي يمثل أحد أهم موثائق الجزائر المعاصرة، فقد جاء فيه (بأن إفريقيا الشمالية هي مجموعة كلية تؤلفها الجغرافيا والتاريخ واللغة والحضارة والمصير)، وحين تأسست أول حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية في 19 سبتمبر 1958 ورد في أول تصريح لها يوم 26 أكتوبر 1958 (بأن الجزائر جزء لا يتجزأ من المغرب العربي وتراثها هو التراث الرائع للحضارة العربية الإسلامية، فالشعب الجزائري المتعلق بحضارته ينتمي إلى العالم العربي). (محمد البشير الإبراهيمي، 2007، ص 44)، وجاء ميثاق طرابلس وهو أحد الموثائق الثلاثة المهمة المهيكلة للدولة الجزائرية ليؤكد على الانتماء العربي الإسلامي للجزائر.

ثمّ جاءت الموثائق الرسمية للجزائر المستقلة لتقوم بتعزيد هذا الطرح وتدعيمه ليشكّل مرجعية انتماء المجتمع الجزائري، وذلك بداية بأول دستور للجزائر المستقلة سنة 1963 ثمّ تكشّفت الرؤية في الانتماء لفضاء حضاري عربي إسلامي في الميثاق الوطني الذي صوّت عليه الشعب الجزائري سنة 1976 معلنا في مطلع ديباجته (بأنّ الشعب الجزائري مرتبط بالوطن العربي [...]) وهو جزء لا يتجزأ منه ولا ينفصل عنه). (محمد البشير الإبراهيمي، 2007، ص 56)، وأنّ اللغة العربية عنصر أساسي للهوية الثقافية للشعب الجزائري (أحمد ناشف، 2011، ص 26)، وهو ما سارت عليه جميع الموثائق اللاحقة نظريا بإلحاحها على فضاء الشخصية العربية الإسلامية الجزائرية، والذهاب حتّى إلى التأكيد على حظر السلوك المخالف للخلق الإسلامي، كما نصّت على ذلك المادّة التاسعة من دستور 1989 والدستور المعدّل في 1996 وورد في تمهيد دستور 1989 وديباجة دستور 1996 المعدّل أن الجزائر أرض الإسلام وجزء لا يتجزأ من المغرب العربي وأرض عربية، وهو ما جعل المؤرخ الجزائري الدكتور محمد العربي الزبيري يؤكّد على أن كل الموثائق والتصوص الأساسية في البلاد تؤكّد أن الشعب الجزائري شعب مسلم وأن الإسلام هو دين الدولة وهو أبرز مقومات الشخصية الوطنية والحصن المنيع الذي مكّن الجزائر من الصمود في وجه جميع محاولات النيل منها وهو دين التّضال والصرامة والمساواة والعدل ودين الحق والعلم والمعرفة.

(محمد العربي الزبيري، 2000، ص 244)

4. العولمة الثقافية

1.4- في مفهوم العولمة:

ظهر مفهوم العولمة أولاً كمصطلح في مجال التجارة والمال والاقتصاد، ثمّ أخذ يجري الحديث عنها بوصفها نظاماً أو نسقاً أو حالة ذات أبعاد متعددة، تتجاوز دائرة الاقتصاد، فتشمل إلى جانب ذلك المبادلات، والاتصال، والسياسة، والفكر، والتربية والاجتماع، والايديولوجيا، والعولمة ذات مضامين سياسية بحتة، ولكن في

الحقيقة تشمل مضامين سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية وتربوية، ولقد فرضت العولمة نفسها على الحياة المعاصرة، على العديد من المستويات، سياسياً واقتصادياً، فكرياً وعلمياً، ثقافياً وإعلامياً، تربوياً وتعليمياً، ولقد كثرت التعريفات التي توضح معنى العولمة، نذكر هنا بعضاً مما يتناسب وموضوع دراستنا، ومن هذه التعريفات: ما ذهب إليه كل من الألمانين "هانس بيترمارتن وهارالد شومان" صاحباً كتاب فح العولمة إلى أن: "العولمة هي عملية الوصول بالبشرية إلى نمط واحد، في التغيير والأكل والملبس والعادات والتقاليد" والتعريف الذي يقول بأنها "نظام عالمي جديد يقوم على العقل الإلكتروني، والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود، دون اعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقيم والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم"، وهناك من يقول أن العولمة هي: "العملية التي يتم بمقتضاها إلغاء الحواجز بين الدول والشعوب، والتي تنتقل فيها المجتمعات من حالة الفرقة والتجزئة إلى حالة الاقتراب والتوحد، ومن حالة الصراع إلى حالة التوافق، ومن حالة التباين والتمايز إلى حالة التجانس والتماثل، وهنا يتشكل وعي عالمي وقيم موحدة تقوم على موثيق إنسانية عامة" و"هي تعاضم شيوع نمط الحياة الاستهلاكي الغربي، وتعاضم آليات فرضه سياسياً واقتصادياً وإعلامياً وعسكرياً، بعد التداعيات العالمية التي نجمت عن انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط المعسكر الشرقي". أو هي: "محاولة لفرض الفلسفة البرجماتية النفعية المادية العلمانية، وما يتصل بها من قيم وقوانين ومبادئ وتصورات على سكان العالم أجمع"، ولقد ذهب عدد من الكتاب إلى أن العولمة تعني: تعميم نموذج الحضارة الغربية، وخاصة الأمريكية وأنماطها الفكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية على العالم كله.

ويعرف الدكتور محمد عابد الجابري العولمة بقوله: هي "العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلداً بعينه هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع" وهي أيضاً أيديولوجياً تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وأمرته" أي محاولة الولايات المتحدة إعادة تشكيل العالم وفق مصالحها الاقتصادية والسياسية، ويتركز أساساً على عمليتي تحليل وتركيب للكيانات السياسية العالمية، وإعادة صياغتها سياسياً واقتصادياً وثقافياً وبشريا، وبالطريقة التي تستجيب للمصالح الإستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية.

ويقول حكمة عبد الله البزاز: "العولمة رديف للأمركة، وإن تقنعت بأقنعة العلم والتكنولوجيا، فموضوع الثقافة الأمريكي يتسلل عبر الشركات عابرة القارات إلى كل مكان في العالم، وينتشر بسرعة مذهلة لا لأنه بالضرورة أصح النماذج ولكن كما ينتشر وباء في العالم الأمركة هنا أمركة مظاهر الحياة كلها، سواء في الاقتصاد أو العلوم أو القيم والتقاليد وحتى الألعاب والفنون والأمراض والجوع، العولمة هي الحالة التي تتم فيها عملية تغيير الأنماط والنظم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، ومجموعة القيم والعادات السائدة، وإزالة الفوارق الدينية والقومية والوطنية في إطار تدويل النظام الرأسمالي الحديث، وفق الرؤية الأمريكية المهيمنة، والتي تزعم أنها سيدة الكون، وحامية النظام العالمي الجديد". (صالح حسين سليمان الرقب، 2008، ص 2-6)

2.4- العولمة الثقافية:

تهدف العولمة في الجانب الثقافي إلى توحيد الثقافة في العالم باستخدام الجانب الثقافي والإعلامي ذي الصلة بالجوانب السياسية والاجتماعية بقصد بناء أساس يهيئ لتقبلها، وفي ضوء ذلك تم تكييف الثقافة من خلال وسائل إيصال ميسورة (قنوات فضائية، إلكترونيات،... إلخ) بقصد نقل الأفكار والمبادئ ونشر المعلومات لمستوى الشبوع بين جميع الناس، ومن تم صياغة ثقافة عالمية لها قيمها ومعاييرها لزيادة معدلات التشابه والتجانس بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات في محصلة تبرز في إطارها وعلى مستوى النفس الإنسانية إمكانية تشكيل وعي وإدراك ومفاهيم وقناعات عالمية الطابع.

وتعرف العولمة الثقافية بأنها بروز ثقافة واحدة تحاول السيطرة والهيمنة على غيرها من الثقافات عن طريق نشر مضمونها وأساليب تفكيرها بل وأساليب التعبير والتذوق وأنماط السلوك والنظر إلى الحياة في محاولة منها لكي تحل محل الثقافات الأخرى وفي ضوء العولمة الثقافية تبرز الثقافة كسلعة تسوق كأبي سلعة أخرى.

(بدر العتيبي وأصدقائه، دت، ص 19)

3.4- وسائل وأدوات انتشار العولمة الثقافية

تعتمد أيديولوجيا العولمة في تبليغ رسائلها ومضامينها الثقافية على العديد من المؤسسات المختلفة، بعضها تقليدي والآخر أنتجته ليوافق متطلبات العصر:

- وسائل الإعلام على اختلافها وتنوعها من صحف ومجلات عالمية ووكالات للأنباء وشبكات تلفزيونية وغيرها.
- تكنولوجيات الإعلام والاتصال الحديثة ومختلف الوسائط والتطبيقات الذكية التي تتيح أكبر قدر ممكن من انتشار للمعلومات وفي أسرع وقت ممكن وتجد لها جاذبية وشبوعا كبيرا لدى فئة الشباب.
- المجالات والفضاءات الاجتماعية كشبكات التواصل الاجتماعي التي غيرت جذريا أشكال التواصل التقليدي بين الشعوب والمجتمعات الإنسانية.

- الوسائل الفنية كالموسيقى والسينما والصناعة التلفزيونية التي أصبحت تسوق وفق نموذج واحد.

- الأدوات اللغوية عن طريق انتشار استخدام اللغات الأجنبية خاصة اللغة الإنجليزية.

- الشركات المتعددة الجنسيات المتواجدة داخل الدول النامية.

- التواجد الكبير للمراكز الثقافية والجامعات الأجنبية داخل البلدان العربية.

- البعثات التعليمية لفئات الشباب الجامعي خاصة.

- المنتجات والماركات العالمية على شاكلة المبرقر وسلسلة مطاعم ماكدولاند.

4.4- إيجابيات العولمة في الجانب الثقافي: ومن بين إيجابيات العولمة في المجال الثقافي يمكن ذكر ما يلي:

- رواج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وإحداث التطورات النوعية في مجال تيسير الاتصالات الثقافية والعلمية بين الشعوب والدول وانتشار الثقافة التقنية.

- دور شبكات الاتصالات والإعلام الدولية، ومنها القنوات الفضائية، وشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) في تغطية الأخبار العالمية والمحلية للعالم، وتكوين ثقافة لدى الأفراد والشعوب عن الأحداث العالمية، وهذا يشكل لدى المستفيد منها قدرة كبيرة لمعرفة ما يدور في الكرة الأرضية من أحداث، وقدرة كبيرة على تحليل الأحداث، وإثراء النقاش، بل والمشاركة الفعالة في الندوات العلمية واللقاءات الثقافية.
- اختصار المسافات ورفع الظلم عن كثير من المضطهدين في العالم، وذلك لما للصورة المنقولة أثر على الحكومات والدول. (صالح حسين سليمان الرقب، 2008، ص 2-6)
- الاستفادة من وسائل العولمة في نشر وتعميق الوعي الثقافي والديني والسياسي وكافة متطلبات وحاجيات أفراد المجتمع.
- أتاحت الاستفادة من التدفق المعلوماتي بعيداً عن الحواجز الرسمية ومعوقات الاتصال التقليدية.
- إتاحة إمكانية تحقيق أكبر قدر ممكن من تكافؤ فرص التعليم بين الأفراد والشعوب وبأكثر جودة.
- تخفف من حدة العصبية والتشدد والجمود الفكري وتجعل من الفرد أكثر قابلية لقبول الآخر مما يساهم في إضفاء طابع الإنسانية على العلاقات الاجتماعية بين مختلف الشعوب بغض النظر عن الاختلافات العرقية والدينية واللغوية.

5.4- سلبات العولمة في الجانب الثقافي: أما عن الانعكاسات السلبية للعولمة على المجال الثقافي فيمكن ذكر ما يلي:

بدأ أحد الكتاب حديثه عن العولمة الثقافية قائلاً بأن الغرب الرأسمالي هو الذي ابتكر مفهوم العولمة، وهو الذي حدّد لها مضامينها وهويتها، ومكوناتها الفكرية والاقتصادية، وهو الذي يقود حركتها في العالم، ويروج لهذا المفهوم، وهذا أحد أهم مصادر التوجس والخوف الذي تظهره الأمم والحضارات تجاه قضية العولمة، لأنّ الغرب لا يريد إلا أن يرى نفسه وحضارته في هذا العالم، ولا زالت نزعة التمركز حول الذات هي التي تشكل عقليته، وإنّ تاريخ علاقاته بالأمم والحضارات كان محبطاً ومروعاً للغاية، حين أظهر سلوكاً استعمارياً متوحشاً، وحول ثقافته إلى ثقافة مهيمنة. (الميلاد زكي، 1998)

وفي هذا الصدد يقول الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الأب في 24/1/1990م: إن القرن العشرين أمريكي ويجب أن يكون القرن الحادي والعشرين أمريكياً أيضاً، ويقول بريجنسيك في 10/8/1990: ليست هناك سوى قوة عظمى واحدة في العالم، هي الولايات المتحدة الأمريكية وهذه القوة العظمى يجب أن تكون مطلقة وشاملة، سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، فنحن القوة الوحيدة على جميع الصعد، وقال فرانسوا بايرو وزير التربية والتعليم العالي الفرنسي: "إن هدف العولمة هو تدمير الهويات القومية، والثقافة القومية للشعوب"، ولهذا فإن أهم ما تسعى إليه الهوية الثقافية هو إقصاء الخصوصيات والهويات الثقافية الأخرى إلى الحد الذي لا يمكن معه الحديث عن ثقافة ذاتية لمجتمع ما أو هوية شخصية، وهو ما يجعل من العولمة ألا تكون سوى شكلاً جديداً من

أشكال الاستعمار الثقافي الذي يهدف إلى إحداث خلل في الهويات الثقافية للشعوب من خلال نشر وهيمنة العولمة الثقافية الأحادية القطبية.

كما أن أخطر ما في العولمة الثقافية أنها تنشر أفكاراً وسلوكيات من شأنها تحطيم الولاء للقيم التراثية والدينية الأصلية، والولاء للوطن والأمة، وإحلال أفكار وولاءات جديدة محلها.

ويرى بعض الباحثين أن العولمة في شكلها الثقافي تهدف إلى إزالة الحدود الدينية والعادات والتقاليد، حتى تكون العقول المستقبلية للمادة الثقافية أكثر انفتاحاً وتقبلاً لما يأتي من الخارج، دون تفكير أو إعادة نظر بعد أن حطمت كل بوابات المراقبة والنقد، يقوم النظام العالمي الجديد في مشروعه المعولم لكل شيء على اختراق الثقافات الوطنية والثوابت الذاتية، ويعمل على طمس معالم الذات والأصل والشرع، بطرح بدائل هجينة منمقة ومزوقة، بحيث تجلب الأنظار ومن ثمة القلوب والعقول".

تؤدي العولمة الثقافية إلى التطبيع مع الهيمنة وتكريس الاستتباع الحضاري لأمريكا، ومع التطبيع والهيمنة والاستسلام لعملية الاستتباع الحضاري يأتي فقدان الشعور بالانتماء لوطن أو أمة أو دولة، وبالتالي إفراغ الهوية الثقافية من كل محتوى، أو إيقاع الأفراد في الدول النامية بين ثقافتين متناقضتين، أي بين نظامه الاجتماعي وبين ما يأتيه من ثقافة عبر الفضائيات والشبكة الدولية للمعلومات من ثقافة مادية متطورة، وإزاء هذا يحصل التشوهات الذهنية والمعرفية والسلوكية عند الأفراد المتلقين للثقافة الوافدة الجديدة، وهذا يؤدي إلى جعل تفكير الفرد تفكيراً ثقافياً مادياً، وجعل سلوكه الاجتماعي يصدر عن تقليد، ودون وعي أو بصيرة.

التقليل من قيمة الثقافات المختلفة، وفرض هيمنة ثقافة واحدة، ألا وهي ثقافة القوى المالكة لمراكز توجيه آليات العولمة، وهي الثقافة الأمريكية في الوقت الحاضر، يقول الدكتور علاء الدين زعتري: "ومن الملاحظ أن العولمة تحمل في طياتها مشروعاً لأمركة العالم، لأن القيم النفسية والسلوكية والعقائدية الأمريكية هي المهيمنة على هذه العولمة الثقافية".

- إشاعة الذوق الغربي في الاستهلاك، وفي ممارسة السلوك الاجتماعي مع الآخرين.

- نشر الثقافة الغربية اللادينية، وفرض الركض - وغالبا بلا وعي - خلف المواضع الاجتماعية الفجة.

- حرمان الشعوب المتخلفة من اللحاق بركب التقدم، نظراً لتفشي الأمية فيها والعولمة تقوم على تقنية عالية لا تملكها الكثير من الدول والمجتمعات في الدول النامية والمتخلفة. (صالح حسين سليمان الرقب، 2008، ص6)

5. الشباب وتأثيرات العولمة الثقافية

عرّفت الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1995 الشباب بأنهم مجموعة الأفراد الذين تتراوح أعمارهم بين 15-24 سنة وأقرّت الجمعية عام 2000 أن هذا المدى يختلف باختلاف المجتمعات وحدد مؤتمر وزراء الشباب العرب مرحلة الشباب في ضوء ما اتفقت عليه المنظمات الدولية بأنها الفترة التي تمتد من 15 إلى 25 ويقصد بالشباب عامة الأفراد في مرحلة المراهقة، أي الأفراد بين البلوغ والنضج، ومن خصائص هذه المرحلة أنها مرحلة القوة وانتقاد

الذهن والعاطفة والإحساس والإجادة في النشاط والعمل، كما تمثل نظاما من نظم التفكير والتساؤلات ويتم في هذه المرحلة اتخاذ القرارات المصيرية.

وتولي مختلف الدول والحكومات أهمية بالغة لفئة الشباب داخل مخططاتها وبرامجها التنموية لما تلعبه من دور في حياة الشعوب كونها الفئة المنتجة، وكغيرها من دول العالم أولت الدولة الجزائرية الشباب مكانة كبيرة بعد الاستقلال وعقدت عليها آمالا واسعة من أجل القيام بمتطلبات التنمية المنشودة، وهو ما جعلها تعمد إلى وضع برامج وخطط مبنية أساسا على تأهيل الشباب وبنائهم من مختلف الجوانب قصد تهيئتهم للمهمة الموكلة إليهم، وتم لهذا الغرض تشييد الجامعات والمؤسسات التعليمية والتكوينية التي تضمن لهم التعليم والتدريب، ونال الإنفاق على التعليم نصيبا كبيرا من ميزانية الدولة، وتضاعف حجم الرعاية الصحية الموجهة أساسا للطفولة والأمومة قصد ضمان أكبر قدر من السلامة لهم، كما قامت الدولة بتوفير المنح البحثية والجامعية للشباب للاستزادة من مختلف المعارف فضلا عن توفير آلاف المناصب لتوظيف الشباب سنويا، وكان الهدف الأساسي من وراء كل هذه الجهود هو توفير المناخ المناسب للشباب لكي يحققوا الإبداع والرقي بالمجتمع الجزائري والحفاظ على مكتسبات الثورة التحريرية.

غير أنه وبعد الأحداث التي شهدها العالم خلال نهاية القرن الماضي وانتقاله من عهد الثنائية القطبية إلى الأحادية المركزية، وانفتاح العالم على بعضه نتيجة للتطور الحاصل خاصة على الساحة الإعلامية التي لم يعد بمقدور الدول النامية التحكم فيها أو السيطرة على وسائلها التي تهدف إلى اختزال العالم وثقافته في نموذج واحد، أصبح الشباب الجزائري كغيره من شباب العالم النامي عرضة لتأثير مختلف رسائل العولمة الثقافية، وهو ما بات يهدد الأمن الفكري والاجتماعي للشباب الجزائري ويرهن تلك الآمال المعقودة عليه.

1.5- مظاهر انعكاسات العولمة الثقافية على الشباب الجزائري: ويتبين لنا التأثير الذي تمارسه العولمة على الشباب الجزائري من خلال المظاهر التالية:

- الاستخدام المفرط والعشوائي للغات الأجنبية في مقابل الاستهزاء والسخرية من الحديث باللغة الوطنية.
- النقص الواضح في الروح الوطنية ويظهر ذلك من خلال الإهانة التي تتعرض لها الرموز الوطنية وأمثلة على ذلك ما وقع في بعض مدارس العاصمة من رفع للعلم الفرنسي أو ما بدر من بعض التلاميذ خلال سنوات سابقة بضرورة رمي التاريخ في المزبلة أو ما تنقله لنا وسائل الإعلام من التشويه لبعض المعالم الوطنية والعبث بقبور الشهداء وغيرها.
- النسب المرتفعة لمعدلات الهجرة غير الشرعية نحو البلدان الغربية بسبب التسويق الإعلامي لهذه البلدان.
- الغياب الواضح للثقافة الدينية والتاريخية الخاصة بحضارة وهوية المجتمع الجزائري لدى أغلب الشباب في مقابل شيوع الثقافة الفنية والرياضية وكل ما يتعلق بنجوم الرياضة والسينما.
- عدم الاكتراث للاحتفال بالمناسبات الدينية والوطنية عكس بعض المناسبات الأخرى كأعياد الميلاد وعيد الحب ورأس السنة الميلادية.
- الإقبال الكبير على المنتجات الغربية خاصة من الألبسة والأطعمة وكافة أشكال الموضة التي تعكس ثقافة المجتمعات الغربية.

- اعتناق الكثير من الشباب للعديد من المذاهب والتيارات الفكرية والدينية التي تسللت مع الانفتاح على العالم الخارجي كالأحمدية والشيعية والجهادية والعلمانية وحتى بعض الطوائف التنصيرية.
- شيوع مظاهر التميع والانحلال الخلقي خاصة بين الشباب الجامعي.
- ضعف الوازع الديني بين الشباب والابتعاد عن أداء الواجبات الدينية.

6. وسائل الإعلام

1.6- تعريف الإعلام: عرف سمير حسن الإعلام بأنه كافة أوجه النشاط الاتصالية التي تستهدف تزويد الجمهور بكافة الحقائق والأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة عن القضايا والموضوعات والمشكلات ومجريات الأمور بطريقة موضوعية وبدون تحريف، بما يؤدي إلى خلق أكبر درجة ممكنة من المعرفة والوعي والإدراك والإحاطة الشاملة لدى فئات جمهور المتلقين للمادة الإعلامية بكافة الحقائق، والمعلومات الموضوعية الصحيحة، عن هذه القضايا والموضوعات، وبما يسهم في تنوير الرأي العام وتكوين الرأي الصائب لدى الجمهور في الواقع والموضوعات والمشكلات المثارة والمطروحة. (عاطف عدلي العيد، 1993، ص16)

ويعرفه طه نجم بأنه جميع أوجه النشاط الاتصالية التي تعمل على تزويد الإنسان بجميع الحقائق والمعلومات المعرفية، باعتباره عملية اجتماعية تجري في بيئة معينة تؤثر فيها وتتأثر بها. (طه نجم، 1996، ص153)

2.6- تعريف وسائل الإعلام: يعرف أحمد مذكور وزملاءه في معجم العلوم الاجتماعية وسائل الإعلام بأنها جميع الوسائل والأدوات التي تنقل إلى الجماهير المتلقية ما يجري حولها عن طريق السمع والبصر. (أحمد مذكور وآخرون، 1985، ص64)، أما فضيل دليو فيرى أن وسائل الإعلام هي ما تؤدي به الرسالة الإعلامية أو القناة التي تحمل الرموز التي تحتويه الرسالة من المرسل إلى المستقبل. (فضيل دليو، 1998، ص49)

3.6- وسائل الإعلام كوسائل للثقافة وبناء الهوية:

إن التنشئة الاجتماعية لأي فرد داخل أي مجتمع هي بالأساس العملية التي يتم من خلالها إكساب الفرد معايير ومعتقدات وسلوكيات الجماعة التي ينتمي إليها أو ما نشير إليه بثقافة المجتمع، وهي وحدها التي تجعل منه فردا مقبولا داخل هذه الجماعة وقادرا على التفاعل معها من خلال القدرة على فهم رموزها الثقافية، وإن الوصول إلى اكتساب المعايير والسلوكيات والمعتقدات الثقافية يتم عبر مجموعة من المؤسسات الاجتماعية التي أعدت خصيصا للقيام بهذه الوظيفة الحيوية.

ولأن كانت في السابق مؤسسة الأسرة هي أهم مؤسسة اجتماعية كان يقع عليها عبء التنشئة والقيام بمختلف وظائفها، إلا أن تعقد الحياة الاجتماعية وظهور وظائف جديدة فوق قدرة الأسرة وخروج المرأة إلى العمل وتخليها عن بعض مهامها الكلاسيكية، أدى إلى انتقال مركز الاهتمام في التنشئة الاجتماعية إلى مؤسسات أخرى كالمدرسة مثلا التي كانت تمتاز بأنها أكثر المؤسسات الاجتماعية تنظيما وخدمة لأهداف المجتمع، غير أن الانفجار المعرفي الذي شهده العالم والتطور الكبير الحاصل في وسائل الإعلام والتطبيقات التكنولوجية، خاصة مع الخصائص التي تتميز بها هذه الوسائل من القدرة على الانتشار والجاذبية والإثارة ومخاطبة جميع حواس الإنسان وغيرها، جعلها بحق

الوسيلة الأكثر تأثيراً في التنشئة الاجتماعية خلال هذا العصر وربما لعصور لاحقة، وهو ما جعل ماكلوهان M. Mac-luhan يقول عنها أنها استطاعت أن تقلب الأوضاع الثقافية والاجتماعية والخلقية والسياسية قلباً شاملاً لا مجال إلى نكرانه، الأمر الذي جعل البعض يرى بأن وظيفة التثقيف وبناء الهوية الاجتماعية للأفراد التي تتوقف عليها التنشئة تمثل أهم الوظائف التي تؤديها وسائل الإعلام لما تشمل عليه من تعليم وتهذيب وحماية للتراث ونشره وتوسيع آفاق الفرد وإكسابه مهارات وقدرات في كافة مراحل عمره، فهذه الوظيفة تعتبر ضرورية لخدمة مصلحة الجماهير الثقافية والوطنية لأنه لا يمكن الاستغناء عنها لما لها من أهمية كبرى في حياة الإنسان وعلى وسائل الإعلام إيصالها من خلال النتاج الفكري الموجه للمتلقين. (سامية عواج، 2014، ص2)

وحسب مراد زعيمي فإن من وظائف وسائل الإعلام هو نقل التراث الثقافي والتاريخي من جيل إلى جيل والمساعدة في تنشئة الجيل الجديد من الأطفال أو الوافدين الجدد على المجتمع. (مراد زعيمي، 2007، ص153)، ولهذا يرى مصطفى المصمودي أنه لا يمكن تصور الثقافة كداعم لهوية المجتمع وخصوصيته الوطنية دون تعبير أو إبلاغ وأنه لا حظ لأي ثقافة كانت من الوجود إذا لم تؤازرها أجهزة الإعلام، كما أنه لا سبيل أمام أجهزة الإعلام دون زاد ثقافي يعبر عن الشخصية الوطنية يشد اهتمام الجمهور إليها ويسمح لها بإبلاغ رسالتها في مختلف المجالات، (مصطفى المصمودي، 1978، ص172) بل يعدها ليؤسس بمنزلة الجهاز العصبي للثقافة وبناء هوية أي مجتمع، ويتحدث ماكلوهان على أن النظام الاجتماعي المتمثل في القواعد الموضوعية والمعترف بها، والتي تتحكم في العلاقات بين الأفراد والجماعات يتحدد بطبيعة وسائل الإعلام التي تتم من خلالها عملية الاتصال.

إن هذا التأثير الكبير الذي أصبحت تمارسه وسائل الإعلام على مختلف ميادين الحياة الاجتماعية، ترك العديد من العلماء والباحثين يرون أنها الوسيلة القادرة على بناء الهوية الوطنية ومواجهة التحديات التي تواجهها المجتمعات المعاصرة أمام العولمة الثقافية والاختراق والغزو الثقافي الذي أصبح يهدد الكيان الثقافي لكثير من الشعوب والمجتمعات، ومن بين هؤلاء نجد عبد الحميد حيفري الذي يتحدث عن إحدى أهم هذه الوسائل وهو التلفزيون مبينا المهمة الأساسية التي تقف أمام برامج اليوم بأنها الاتجاه المباشر نحو معالجة القضايا الملموسة المتعلقة بحياة الشعب وتعبئة طاقات الجماهير، حتى تكون فعلاً في خدمة القضايا الحيوية للجماهير كسبيل لتوعيتها سياسياً وأيديولوجياً. (عبد الحميد حيفري، 1985، ص23)، وأن التلفزيون حسبه يمثل جهازاً هاماً لأنه قناة تنتقل عبر برامجها محتويات ثقافية أيديولوجية، وأنه مطالب أكثر من أي وقت مضى بالتأكيد على الهوية الوطنية وعلى الارتباط بالتراث الثقافي الأصيل بعد التجربة الصعبة التي مرّ بها خلال الاستعمار وذلك عندما يتحدث عن التجربة الجزائرية، وهو ما يؤكد عليه الوزير الأسبق للإعلام والثقافة الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي بأنه يجب على التلفزيون أن يركز على انبعاث الانفتاح الثقافي المحلي وأن يساهم في إعطاء فكرة صائبة عن أصالة شعبنا، وهذه النقطة تفرض على التلفزيون أن يحقق تمجيد القيم الوطنية ويتفادى كل ما لا يمت بأي صلة لواقع البلاد وأن يجتهد من أجل الوصول إلى لغة شخصية أصيلة وهي اللغة العربية. (عبد الحميد حيفري، 1985، ص64)

أما مصطفى مصمودي فيرى أن وسائل الإعلام اليوم عليها أن تمارس وظيفتها التثقيفية من خلال: تناقل التراث بين الأجيال وإبرازه وجعله السراج الذي ينير حاضرنا ويصل بين ماضينا ومستقبلنا، ضمان الأمن الثقافي للمجتمع حتى لا يكون ضحية الغزو الأجنبي والفكري، الحفاظ على اللغة وتطويرها، حيث أن أجهزة الإعلام هي المسؤولة الأولى على وضع اللغة والمحافظة عليها من الاندثار والذوبان تحت تأثير اللغات الدخيلة والمصطلحات الأجنبية وهي مطالبة في الوقت نفسه بإثرائها حتى تكون أفضل أداة وصل بين ماضينا ومستقبلنا، حماية الهوية الثقافية وذلك بهدف تمكين الثقافات الوطنية من التكامل ومن الإثراء بالاحتكاك بغيرها وتمكين الأمة من تعريف الرأي العام العالمي بقيمتها الثقافية والاجتماعية وجلب التقدير والاحترام لها، كما أنه على أجهزة الإعلام صون الذاتية الثقافية من الغزو الفكري الأجنبي ووقاية مقومات أصالتها من مخاطر التيارات الثقافية الأجنبية التي تشوه طبيعتها وتضر بمستقبل المجموعة، فالذود عن تلك الذاتية التي هي أداة الوصل بين الأجيال المتعاقبة هو أمانة في عنق أجهزة الإعلام يتعين عليها صيانتها فإن أخلت بذلك كانت قد تهاونت في أداء رسالتها.

(مصطفى مصمودي، 1978، ص 177)

4.6- وسائل الإعلام الجزائرية الخاصة:

يشير مفهوم وسائل الإعلام الجزائرية الخاصة بالأساس إلى التجربة الإعلامية التي شهدتها الجزائر عقب صدور قانون 01-14 المؤرخ في 24 فيفري 2014 المتعلق بنشاط السمع البصري، عندما تم إطلاق قنوات فضائية تلفزيونية غير تابعة في تسييرها وإدارتها وتمويلها للدولة، وإنما لرجال أعمال ومؤسسات خاصة، ولكن تحت دفتر شروط جزائري كمؤسسة الشروق ومؤسسة الخبر وغيرها، وإطلاق لفظ الجزائرية عليها يعود إلى الجمهور الذي تخاطبه وإن كان أغلبها لا يث من الجزائر.

5.6- التجربة الإعلامية في الجزائر من التلفزيون العمومي إلى القنوات الخاصة.

1.5.6- التجربة الإعلامية خلال الفترة الاستعمارية: إذا أمكن أن نطلق على التجربة الإعلامية التلفزيونية التي أقامتها الإدارة الفرنسية ضمن التطور التاريخي للتلفزيون الجزائري فإنه يمكن القول أن هذه التجربة لم تظهر إلا في 24 ديسمبر 1956 عندما أقامت إدارة الاحتلال مصلحة بث محدودة الإرسال، لكي تكون دعما فعالا للراديو في بث البرامج الفرنسية الكفيلة بانتزاع القيم الوطنية لدى الجزائري والقضاء على شخصيته الوطنية.

(عبد الحميد حيفري، 1985، ص 29)

2.5.6- التجربة الإعلامية بعد الاستقلال: لقد استمرت الهيمنة الاستعمارية على مؤسسة الإعلام البصري إلى غاية 28 أكتوبر 1962 التاريخ الذي استردت فيه الجزائر سيادتها على مبنى البث الإذاعي والتلفزي، حيث أنه تماشيا مع سعيها لتعزيز الاستقلال السياسي الذي تحقق مع خروج آخر مستعمر من الجزائر بالاستقلال الثقافي كما نص على ذلك برنامج طرابلس عام 1962 بأنه يجب أن تكون المعركة الأيديولوجية عملا مكملا للنضال المسلح، وميثاق الجزائر عام 1964 الذي يؤكد على أن نستخدم الإعلام لمحاربة الإيديولوجيات الرجعية بدون هوادة وأن نملاً الوجه السياسي الجزائري بشعارات تخلص مراحل ثورتنا، والميثاق الوطني عام 1976 الذي يؤكد أيضا على أنه يجب على الصحافة والإذاعة والتلفزة وغيرها من الوسائل السمعية البصرية بجميع أنواعها، أن تعمل على نشر ثقافة

رفيعة مشوقة كفيلا بالاستجابة للحاجات الأيديولوجية والجمالية، عمدت الحكومة الجزائرية وفي خلال أربعة أشهر فقط بعد الاستقلال بأن تأخذ بزمام أمور الإذاعة والتلفزيون لتعهد إليها بمهمة مواصلة ما أنجزته الثورة حتى تحقق ديمقراطية شاملة في مجال الإعلام وتضوّن شعلة الوعي القومي وتنميته، ومحاوله إعادة الثقافة الجزائرية الأصيلة إلى داخل المجتمع الجزائري لتأخذ مكانها الطبيعي، فكانت جهود التعريب والجزارة من بين الإصلاحات التي مست قطاع السمع البصري، حيث انصبت الجهود من أجل تعريب العناوين الصحفية في البداية ولسان الإذاعة الوطنية والعمل على التقليل من البرامج الأجنبية داخل مؤسسة التلفزيون أو تكيفها مع الواقع الجزائري لتصل في حدود 26% خلال الثمانينات.

ولقد جاء قانون التعريب رقم 05/91 المؤرخ في 16/ جانفي/ 1991 المتضمن استعمال اللغة العربية ليكرس توجه الدولة في ميدان السمع البصري من خلال ربط الإعلام بعناصر الهوية الوطنية، حيث نصت بعض موادها على أن يكون الإعلام الموجه للمواطن باللغة العربية، وأن تكون برامج الأفلام السينمائية أو التلفزيونية والحصص الثقافية والعلمية الأجنبية معروضة باللغة العربية أو ثنائية اللغة، وأن تجرى جميع التصريحات والندوات والتدخلات وكل الحصص المتلفزة باللغة العربية وتعرب إذا كانت باللغة الأجنبية، أما المرسوم المؤرخ في 20/ أفريل/ 1991 والذي منح امتياز الخدمة العمومية إلى التلفزيون الجزائري فقد أكد على أن تساهم المؤسسة في ترقية اللغة الوطنية وتشريفها في ظل احترام توصيات المجلس الأعلى للإعلام من خلال:

- ✓ ضمان بث الإنتاج السمع البصري باللغة العربية.
- ✓ الأولوية في اقتناء الأفلام والأشرطة الوثائقية ذات الطابع العلمي والثقافي والتربوي وضمان تعاليق خاصة بها باللغة العربية.
- ✓ الأمر بالاحترام الصارم للاستعمال السليم للغة العربية في جميع البرامج المعدة للبث.
- ✓ إنتاج حصص تعليمية باللغة العربية مخصصة للأطفال والمراهقين بشكل هيكل تربوي
- كما نصت المادة السادسة من المرسوم على أنه يجب على المؤسسة أن تشجع على بث الثقافة الوطنية وعلى إشعاعها بجميع خصوصياتها وعناصرها وتطويرها وترقيتها.
- وبعد انتقال الجزائر إلى مرحلة التعددية السياسية خلال مرحلة التسعينات كان من بين انعكاساتها انفتاح الجزائر على العالم الخارجي عبر تجربة البث الفضائي للقناة الجزائرية الثانية الناطقة بالفرنسية في 20/ أوت/ 1994، وفي 5/7/2001 تبعتها القناة الثالثة الموجهة للجالية العربية ثم القناة الأمازيغية وقناة القرآن الكريم في 2009 من أجل تصحيح صورة المجتمع الجزائري بعد الأحداث التي شهدتها سنوات التسعينات، وتهدف القنوات الفضائية الجزائرية إلى تمتين روابط الهوية والتعبير عن تقاليد أصالة ولغة البلاد بهدف صيانة الروابط الثقافية والحضاري.

(رضوان بلخيري، 2009، ص 174)

3.5.6- التجربة الإعلامية في زمن التعددية الإعلامية: نتيجة للمطالب الاجتماعية المتزايدة من أجل فتح مجال السمع البصري والتغيرات التي شهدتها المنطقة العربية عرفت الجزائر تجربة التلفزيون الخاص بعدما كانت حكرا على التجربة العمومية منذ بداية الاستقلال، وذلك بعد صدور القانون رقم 14-01 المؤرخ في 24 فيفري 2014 المتعلق

بنشاط السمعى البصرى، حيث قام العديد من رجال الأعمال والمؤسسات وخاصة الإعلامية إلى إطلاق فضائيات تحمل أسمائها كالنهار والشروق والخبر والبلاد والفجر وغيرها.

7. وسائل الإعلام وتعزيز الهوية الوطنية للشباب الجزائري

يذهب الكثير من العلماء والباحثين كما رأينا آنفا إلى التأكيد على أهمية وسائل الإعلام في الحفاظ على مقومات الهوية الوطنية في أي مجتمع، غير أنهم يعتبرون وسائل الإعلام ليست فقط مجرد أداة، بل هي تمثل الهوية في حد ذاتها، يمكن لها أن تخترق المقومات الوطنية لأي مجتمع في ما يتعلق بقوتها وقدرتها على التأثير وتغيير طبيعة وجوه المجتمعات البشرية. (Babran: 2008 p217)

1.7- وسائل الإعلام و تبليغ المضامين الدينية.

لقد مثل الإسلام منذ دخوله إلى هذه الأرض عنصرا أساسيا من عناصر بناء الفرد الجزائري والدافع والمحرك لأغلب أفعاله في السلم والحرب، وأن إبداعه في عمارة الأرض وبراعته في شتى العلوم ودفاعه عن وطنه من كافة أشكال العدوان الخارجي كانت بدوافع دينية، وهو ما يتطلب من هذه الوسائل إبرازه وتقديمه للشباب اليوم من خلال مواد ورسائل إعلامية حتى ينشأ متشبثا بدينه وعنوان هويته.

- إن البرامج والأفلام والمسلسلات التي تبثها أغلب الفضائيات العربية والأجنبية اليوم لا تتوافق مع المضامين التربوية والأخلاقية للإسلام ولا مع التقاليد وعادات الأسرة الجزائرية، ولقد بينت الكثير من الدراسات حجم التأثير الذي تتركه برامج كستار أكاديمي والمسلسلات التركية مثلا على الشباب العربي ومدى انتشار الكثير من المفاهيم الغربية عن واقعه وثقافته كالعلاقات بين الجنسين وشكل الألبسة وغيرها، وهو ما يستوجب أكثر من أي وقت مضى على القنوات والمؤسسات الإعلامية الجزائرية مواجهته والتصدي له وتقديم البديل الذي من شأنه حماية عادات وتقاليد الأسرة الجزائرية.

- إن انتشار مظاهر الانحراف والانحلال الخلقي التي تهدم الدين وتعطل طاقات الشباب داخل المجتمع أصبحت تستوجب علاجا سريعا، وذلك من خلال:

✓ تشخيص هذه الظواهر والكشف عن أسبابها إعلاميا كمرحلة أولى.

✓ تقديم حلول ناجعة لها عن طريق استضافة باحثين وعلماء ومختصين للإفادة في الموضوع.

✓ استضافة حالات واقعية وعرضها للمشاهدة للوقوف على آثارها وانعكاساتها الحقيقية.

- شكلت المرجعية الدينية المتمثلة أساسا في (المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية ورواية الإمام ورش)عاملا حاسما في ضمان استقرار ووحدة المجتمع الجزائري خاصة خلال الفاجعة الاستعمارية في الوقوف أمام المحاولات الفرنسية التي كانت ترمي إلى تفكيك المجتمع، الأمر الذي يحتم على وسائل الإعلام اليوم خاصة مع التحديات الراهنة العمل على إبرازها وتدعيمها وتعزيزها بين أوساط الشباب من خلال برامج دينية تهتم بالمذهب المالكي وشرحه وتبسيطه للشباب وتنظيم مسابقات وحصص تعلم رواية ورش وغيرها من الأنشطة الإعلامية التي تخدم هذه المرجعية.

- إن الفتاوى المستوردة والبعيدة عن واقع المجتمع الجزائري أصبحت تزرع الفتنة والشك والحيرة بين أوساط الشباب، ما يجعل وسائل الإعلام مطالبة بالتصدي لها ببرامج دينية مخصصة للفتوى يحضرها علماء من داخل البيئة المحلية وبمناهج وسطية قصد تقديم إجابات للمشاكل التي تعترضهم وتزيح الشك واللبس عن أذهانهم.

- إن المذاهب الدينية والتيارات الفكرية الوافدة التي باتت تتغلغل بين أوساط الشباب بتصورات ومفاهيم مختلفة لا تتوافق والطرح الوطني للهوية من شأنها زعزعة استقرار هذه الهوية في نفوس الشباب، وهو ما يستوجب من المؤسسات الإعلامية أن تتصدى له من خلال كشف خططها الهدامة ونشر الوعي بمخاطرها وآثارها وانعكاساتها على هوية الشباب بالتحقيقات والبرامج التي تناولها.

2.7- وسائل الإعلام وخدمة اللغة الوطنية

- ضرورة إعادة الاعتبار للغة الوطنية داخل برامج هذه الوسائل من خلال منع الصحفيين الحديث باللغة المحلية والأجنبية وانتقاء الشخصيات الوطنية التي تجيد الحديث باللغة الوطنية.

- ترجمة جميع الأعمال الأجنبية التي تداع على هذه الوسائل إلى اللغة الوطنية كتابة ونطقا.

- بناء برامج ثقافية وتربوية تساعد على إعادة الاعتبار للغة الوطنية وتنمي عقد الشعور بالاعتزاز بها وتزرع الاهتمام نحوها في نفوس الشباب.

- إبراز الثروة التي تزخر بها اللغة الوطنية والمكاسب الكبيرة التي حققتها عبر تاريخها الطويل من أجل وضع الشباب تحت تأثير نفحات هذه اللغة.

3.7- وسائل الإعلام وترسيخ الوعي الوطني

يشمل الوطن جميع الجغرافيا الطبيعية التي تشكله وتجعل منه وطنا خاصا ومميزا، والوعاء الذي يحتضن جميع الأفراد الذين يعيشون داخله ويشعرون بعقد الانتماء نحوه، كما يشمل الوطن جميع الملامح والذكريات التي تحتل تاريخ أبنائه، ومن هذا المنطلق فإن وسائل الإعلام مطالبة بتقديم المادة الإعلامية التي من شأنها حماية هذا الوطن وترسيخ الوعي به لدى الشباب وذلك من خلال:

- تعريف الشباب بالجغرافيا الطبيعية والخيرات الكبيرة التي تشكل هذا الوطن وتزخر بها مختلف مناطقه قصد زرع الأمل في نفوس الشباب وزيادة تشبثهم بالوطن.

- تعريف الشباب بمآثر وبطولات الأجداد من خلال برامج وتحقيقات تعرض لسيرهم وإبراز التضحيات الكبيرة التي كانوا يبذلونها من أجل الوطن.

- الاحتفال بالأيام والأعياد الوطنية التي تحمل دلالات رمزية وتترك الشباب يشعرون بنفحات الوطنية وذلك من خلال تنظيم أيام إعلامية مفتوحة أو استضافة شخصيات وطنية.

- بث أفلام تاريخية ووثائقية حول تاريخ الجزائر.

- إقامة حصص لمسابقات تاريخية وثقافية حول تاريخ الجزائر من أجل حث الشباب عن البحث في تاريخهم والتعرف عليه.

- التصدي للدعوات التفكيكية لوحدة هذا الوطن بكشف أساليبها وأفكارها من خلال تحقيقات ميدانية واستضافة العلماء لتوعية الشباب بمخاطرها.

- علاج الظواهر الاجتماعية التي تضعف الشعور بالانتماء للوطن داخل أوساط الشباب كالهجرة غير الشرعية والتقليد للغرب من خلال كشف الوجه الحقيقي للحياة الغربية وضحد الأوهام المبنية حول الجنة الموجودة بها وأن نعمة الوطن لا يعادها نعمة وذلك من خلال تحقيقات ميدانية تتناول أوضاع المهاجرين وتبيين المعانات التي يشعرون بها خارج أوطانهم.

- التركيز على المنتج الوطني المبني على الثقافة الوطنية في بناء مختلف المواد والرسائل الإعلامية حتى لا يشعر الشباب بالاعتراب نتيجة لتضارب الواقع المعاش مع الواقع المشاهد.

خاتمة

إن أهم ما يمكن أن نستخلصه من هذا البحث هو أن الشباب سيقمى الأمل الوحيد في حياة المجتمع الذي من شأنه أن يحقق الآمال المنشودة والتطلعات الكبيرة في تحقيق التنمية والتقدم الاقتصادي والاجتماعي والرقمي العلمي والفكري، وهو ما يستوجب استنفار كل الجهود من أجل الوفاء بمتطلباته واحتياجاته والعمل على رعايته وحمايته من جميع الأخطار التي من شأنها تعطيل طاقاته وتهديد أمنه واستقراره الفكري والاجتماعي، خاصة داخل هذا العصر الذي يشهد توحشا مخيفا للعولمة الثقافية ومنتجاتها ذات الصلة بالشباب.

ولذلك يستوجب على كافة المؤسسات الاجتماعية وخاصة وسائل الإعلام بما لها من القدرة على التأثير في عنصر الشباب بأن تعمل على توظيف وسائلها ورسائلها الخاصة من أجل حماية الشباب من كافة الأخطار التي تهدد أمنه الفكري وترهن مستقبله ومستقبل الوطن المعقود عليه من خلال ترسيخ وعيه بوطنه ودوره المنوط به من أجل خدمة هذا الوطن.

مراجع الدراسة:

- 1- إبراهيمي محمد البشير. (1997). الآثار، ج1، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- 2- إبراهيمي محمد البشير. (2007). في قلب المعركة، دار الأمة، الجزائر.
- 3- بركات حليم. (2000). المجتمع العربي في القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- 4- حيفري عبد الحميد. (1985). التلفزيون الجزائري واقع وأفاق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- 5- دليو فضيل. (1998). مقدمة في وسائل الاتصال الجماهيري، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر.
- 6- الرقب صالح حسين سليمان. (2008). العولمة الثقافية آثارها وأساليب مواجهتها، نشر في كتاب مؤتمر (العولمة وانعكاساته على العالم الإسلامي في المجالين الثقافي والاقتصادي) عمان - الأردن سنة 2008، ص2-6
- 7- الزبير محمد العربي. (2000). المسخ الثقافي ومسؤولية الدولة، مجلة الفكر السياسي، العدد19، المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات.
- 8- زعيبي مراد. (2007). مؤسسة التنشئة الاجتماعية، دار قرطبة، الجزائر.
- 9- صحراوي عز الدين. (2009). اللغة العربية في الجزائر: التاريخ والهوية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 5، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، جوان، ص(94-95).

- 10- الصديق محمد الصالح.(2002). الإمام عبد الحميد ابن باديس جهاد ومواقف، مجلة الوعي، العدد1، رجب/ شعبان1431هـ الموافق 1جويلية 2002 ، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر ، ص14-16
- 11- طه نجم.(1997). علم اجتماع المعرفة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- 12- ظاهر، محسن هاني، نعيم، حسين كزاز.(2006). الدولة والمواطنة نحو مفهوم مركب للهوية الوطنية العراقية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بابل، العدد 1، ص 550
- 13- العتيبي بدر وأصدقائه.(د ت). العولمة الثقافية وأثرها على هوية الشباب السعود وقيمهم وسبل المحافظة عليها، الإدارة العامة لبرامج المنح البحثية، المملكة العربية السعودية.
- 14- عدلي، العيد عاطف.(1993) الاتصال والرأي العام، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 15- عواج سامية. (2014). الدور الثقافي للصحافة المكتوبة، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 226، 2014/12/19، سطيف
- 16- فضيل، عبد القادر ورمضان، محمد الصالح.(1988). إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، دار الأمة، الجزائر.
- 17- كاظم رحيم.(2009). العولمة والمواطنة والهوية، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد1، المجلد8، ص259-264
- 18- محمد ابراهيم عيد، الهوية الثقافية العربية في عالم متغير، مجلة الطفولة والتنمية، مجلد1، عدد3، 2001، ص110.
- 19- مذكور، أحمد وآخرون.(1985). معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة.
- 20- المصمودي مصطفى.(1978) النظام العالمي الجديد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- 21- مطلق هدى كريم.(2016)، العولمة والشباب أزمة الهوية والانتماء، مجلة آداب المستنصر، العدد 37.
- 22- مهدي حبيب صالح.(د ب)، دراسة في مفهوم الهوية، ج5 ، العدد 13 ، مركز الدراسات الإقليمية، د ب ، د س ، ص3-9
- 22- الميلاد، زكي.(1998) الفكر الإسلامي وقضايا العصر: الكلمة، العدد (20) السنة الخامسة.
- 23- ناشف أحمد.(2011) تعريب التعليم في الجزائر بين الطرح المعرفي والطرح الأيديولوجي، كنوز الحكمة، الجزائر.
- 24- ولد خليفة محمد العربي.(2003). المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر.
- 25- Babran.j(2008), , **Media, Globalization of Culture, and Identity Crisis in Developing Countries**, Intercultural Communication Studies XVII.
- 26- **D. Smith(2004), on nations and national identity: a critical assessment**, Nations and Nationalism.